

أَسْرَارُ الصِّيَامِ
فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَأَلَّفَ
عَبْدُ الْمَعْرِضِ خَطَّابٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم
الدين .

وبعد : فهذه لمحات خاطفة استقيتها من (آيات الصيام في سورة
البقرة التي تبدأ بقول الله « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما
كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » الى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم
تعلمون » فلا يمكن لمسلم أن يلم بأدأب رمضان الا اذا تفهم هذه الآيات
ففيها بيان للصوم ومراتبه ووحدۃ الدين والهدف من الصوم ، وعلاقة
رمضان بالقرآن ، ورحمة الله على عباده في التخفيف والتيسير ، وأنواع
أصحاب الأعداء الذين يباح لهم الإفطار وحسن شكر نعمة الله وحسن
استقبال العيد بالتكبير والصلة بالله ، وإخلاص الدعاء ، ثم استقرار
البيوت وحسن المعاشرة الزوجية وأن الصوم ليس انفلات أعصاب وهدم
أسر ، ونفحات ليلة القدر وقيام الليل وروعة الاعتكاف وأخيرا عدم الاستغلال
وأكل الحقوق وظلم الناس ، ومن هنا يكون الصيام هو الذي أرادته الاسلام
ليربي أمة وينشئ جيلا متحليا بمكارم الأخلاق متزودا ب زاد التقوى .

« ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم »

عبد المعز خطاب

حقيقة الايمان

الايمان يبدأ بالغيبيات أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثم ينعكس على الجوارح عملا صالحا ، ومن هنا يقرن الايمان بالعمل الصالح في كثير من المواضع « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » « والعصر ، أن الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وصور الايمان متعددة منها :

١ - حب الله وحب رسوله : فلا يكون هناك شيء أحب منهما سواء تمثل في مال أو ولد أو مصلحة ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) وبذلك يتذوق حلاوة الطاعة يقول عليه الصلاة والسلام (ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف في النار) ويقول (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .

٢ - الجهاد بالمال والنفس ليرتقى الانسان فوق ماديات الحياة والتعلق بالشهوات يقول الله تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » وهذه هي البيعة التي يشتري بها الجنة « أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

٣ — التمسك بشريعة الله والرضا بحكم رسول الله « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ، ان يقولوا سمعنا واطعنا ، اولئك هم المفلحون » .

٤ — الثقة في الله تتوكل عليه وتستعين به مهما كانت الشدائد ، ولذا امتدح الله أصحاب النبي رغم (جراحات أحد) وخرجوا ثانية الى الجهاد راضين « الذين قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله » ويوم الأحزاب رغم محاولات المنافقين ان ينفضوا من حول رسول الله ، لكنهم ثبتوا « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا ايمانا وتسليما » .

٥ — التسليم بالموت وأنه بأجل « وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » ويقول النبي (ان روح القدس نفث في روعى أن نفسا لمن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفي أجلها) .

٦ — الثقة في أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

أضواء على الصوم

هو عبادة كريمة قوامها أن يمتلك الانسان نفسه ، وأن يحكم هواه وأن تكون لديه العزيمة التي يترك بها ما يشتهي فتتحرر الإرادة الانسانية .

والصوم تعود على الحرمان الموقوت يدرّب المسلم عمليا على الشدائد لقول النبي (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات) فالصائم يرتفع الى الله ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف في النار) ويقول

والصوم جاء ذكره في موضع واحد ، بينما ذكرت العبادات في مواضع مختلفة من القرآن ، وكأنها أراد الله أن ينبه اليه الانسان ، وكل العبادات

تحدد جزاؤها الا الصوم يقول صلى الله عليه وسلم (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها) قال الله تعالى (الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، انه يترك طعامه وشرابه من أجل ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) والصوم زكاة الجسم يقول صلى الله عليه وسلم (لكل شيء زكاة وزكاة الجسم الصيام) والصيام نصف الصبر والصبر نصف الايمان والله يقول « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ولذا قال النبي لعائشة (داومي قرع باب الجنة) قالت (بماذا يا رسول الله قال (بالجوع) وأوصى به الشباب اذا لم يقدروا على الزواج لأنه يكبح جماح الشهوة (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) أى وقاية ، وفى رواية (فانه أغض البصر وأحصن للفرج) .

ويباهى الله بالصائمين ملائكته (يا أيها الشاب التارك شهوته لأجل ، المبنى شبابه لى ، أنت عندى كبعض ملائكتى) .

واعتبر الإفطار فى رمضان من أكبر الكبائر يقول صلى الله عليه وسلم (من افطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله لم يقض عنه صيام الدهر كله وان صامه) .

وأراد الله بالصوم أن ترتفع النفس عن ضرورات الجسد ، وتتعلم كيف تسيطر على النوازع النفسية وبذلك يمسك عن المحرمات .

والصائم يثبت عظمة نفسه وعلو قدرها وتتيقظ عنده ملكة المراقبة ومجرد الصوم عن الطعام والشراب والشهوة انما هو (الصيام الحيوانى) لأن الحيوان يشارك فى ذلك ، ولكن الجانب الروحى هو الأهم ومن هنا يقول النبى (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) ويستحق الإنسان بعدئذ قول الله (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) والا انتكس وانطبق عليه (ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

والصيام بذلك يححر من سلطان العادة ويقى من الشرور ولذا قال النبي
(الصوم جنة) أى وقاية ويعود على الصبر وغض البصر وحفظ الفرج
وصيانة اللسان .

أنواع الصيام

صوم فرض كصيام رمضان وقضاء أيام الافطار أو الصيام فى الكفارات
صوم تطوع (يوم عرفة) لغير الحجاج أو صيام (يومى الاثنين
والخميس أو (ست من شوال) .
صوم كراهية كصيام يوم الشك ، وصيام يوم الجمعة الا أن تسبقه
بيوم أو تلحقه بيوم ، وصيام أيام التشريق .
صوم حرام كصيام يوم العيد ، أو صيام الحائض أو النفساء ، وصيام
المرأة تطوعا وزوجها حاضر الا باذنه .
صوم اختيار صوم المريض ان قدر والمسافر اذا لم يرهقه الصوم .

مراتب الصوم

الأول صوم عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر الى غروب
الشمس واطلاق الجوارح فى شهواتها وهذا صيام غير مقبول لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم (ليس الصيام من الطعام والشراب وإنما
الصيام من اللغو والرفث) .

الثانى صيام عن الطعام والشراب والشهوة وكف الجوارح عن المأثم
وهذا هو المطلوب .

الثالث صيام الخاصة أن يصوم فوق ماسبق قلبه عن الحقد والحسد والتفكير في الدنيا وانما ينشغل بذكر الله » الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب .

مبطلات الصيام

١ — عقدنية الافطار اثناء الصوم لقول النبي (انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) .

٢ — وصول شيء ولو يسير الى الجوف عمدا عن طريق الفم او الاذن او الانف .

٣ — نزول دم الحيض او الولادة في اى وقت يبطل الصيام .

٤ — تعمد القيء ولو قليلا لقول النبي (من زرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء فليقض) .

٥ — الانزال بغير جماع ولو بالتفكير (ماعدا الاحتلام) لانه خارج عن ارادة الانسان ولقول النبي (رفع القلم عن ثلاث ، عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي حتى يبلغ الحلم) فكل منهم فاقد الوعي .

٦ — الردة (اى الارتداد عن الاسلام) .

والجماع او الاكل او الشرب عمدا يستوجب (القضاء) اى اعادة اليوم (والكَارَةُ) وهى (اما عتق رقبة) (او صيام شهرين متتابعين ستين يوما فان افطر يوما واحدا منها بدون عذر اعاد من جديد) او اطعام ستين مسكينا لكل مسكين وجبتان او ما يعادلها من اوسط ما يطعم المفطر .

الصيام والكفارات

الصيام هو العبادة الوحيدة التى تدخل فى الكفارات وقد ورد ذلك فى عدة أمور تارة يبدأ الله بالصوم وتارة يؤخره .

١ — جاء فى كفارة اليمين وقد تأخر فى الترتيب فكفارة اليمين إما «اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم» وإما (تحرير رقبة) وإما (صيام ثلاثة أيام) يقول الله « لا يؤاخذكم الله فى اللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين ، من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم » .

ويقول النبى مىسرا على المسلمين (من حلف على يمين ، فرأى أن غيرها خير منها فليأت الذى هو خير ، وليكفر) .

٢ — فى كفارة الظهار : إذا قال الرجل لامرأته (أنت على كظهر أمى) لا يكون طلاقاً وإنما يسمى (ظهاراً) وليس له أن يمسه إلا إذا قدم الكفارة عادياً له حينما وضع أمه موضع الزوجة وقد جاء (الصيام متوسطاً فى الترتيب) هنا (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً » .

٣ — فى كفارة القتل الخطأ : وجاء الصوم بعد عدم القدرة على تحرير الرقبة ودفع الدية « وما كان المؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله ، إلا أن يصدقوا ، وإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » .

٤ — كفارة قتل الصيد في الحرم : يقيم الصيد بأغنام ويحدد ذلك رجلان عادلان مسلمان ، فان لم يستطع قدر ثمن الصيد واستبدل به صيام أيام بعدد المساكين الذين يمكن اطعامهم بهذا المال « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليزوق وبال أمره » .

٥ — كفارة الوقوع في محظورات الاحرام والصوم يأتي أولا « وأتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به اذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » .

٦ — كفارة الاستمتاع في الحج أى فك الاحرام عقب أداء العمرة والبقاء حتى الحج ولا يلتزم بمحظورات الاحرام اما ذبح هدى أو صيام ثلاثة أيام خلال تواجده في الحج وسبعة أيام بعد عودته لبلده « فاذا أمنتكم ، فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » .

أسرار الكفارات :

أراد الله بالكفارات أن يخرج الانسان من الحرج الذى وقع فيه ورد الحقوق الى أصحابها وتحرير الرقاب واطعام المساكين وانفاق المال في طاعة الله ، ومن الكفارات ما كان يسيرا يتناسب مع الخطأ الذى وقع فيه المسلم ومنها ما هو شاق ليحس الانسان بعظم الأثم الذى وقع فيه (كالظهار) مثلا فلا يصح أن تضع أمك التى حملتك وأرضعتك محل الزوجة فللأم مكانة لا يعلو عليها شيء .

والكفارات دليل على أن الله لا يعامل عباده بالانتقام والجبروت وإنما يخلع عليهم من رحمته ويحببهم في طاعته ، ويضع عنهم أوزارهم . ولو ظل الذنب معلقا لآلم الإنسان وأطلق راحته وحرمه الهدوء ولكن بالكفارة يحس كأن حملا ثقيلا قد رفع عن كاهله .

واتخذ الله من الكفارات وسيلة لسد حاجات المجتمع وزيادة روابطه وتأصيل مبدأ التكافل الاجتماعي حتى ينطبق على الأمة تصوير النبي لها (مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) ، والكفارات في الإسلام تجعل المال في خدمة المحتاجين لا ليدخل في جيوب السادة أو الأحرار أو الرهبان كما كانت تباع (صكوك الغفران) .

الصوم عبادة قديمة

عرفته الأمم السابقة تهذيبا وسموا للروح يقول الله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

ومن صورهِ الصيام عن الكلام كما قال الله لمريم « فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » .

ولكن ليس معنى ذلك أن الأوائل لم يعرفوا الصيام الذى نصومه الآن فكل الأنبياء صاموه يقول الله عن موسى « واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » اجمع المفسرون أن موسى صام الأربعين يوما قبل لقاء الله صياما حقيقيا .

ويقول صلى الله عليه وسلم (خير الصيام صيام أخى داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما) وكان داود يصوم صيامنا .

ويرى بعض العلماء أن صيام رمضان كان مفروضا على أهل الكتاب لكنهم تركوه لما جاء وقت الحر وزادوا بدل الثلاثين يوما الى أربعين ثم الى خمسين .

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا (هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل) فقال النبي (أنا أولى بموسى منكم) وصامه وشجع المسلمين على صيامه ثم فرض رمضان فخير المسلم وصار صومه تطوعا .
(وفعل كتب) يفيد قوة الفرضية مثل « كتب عليكم القتال » .

وحدة الدين

حرص الاسلام على الاملاح كثيرا الى وحدة الدين ، فهو دين واحد هو الاسلام « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .
وكل الانبياء كانوا مسلمين فهذا نوح يقول لقومه « فان توليتم فما سألتكم من أجر ، ان أجرى الا على الله ، وأمرت ان أكون من المسلمين »
وابراهيم يقول الله عنه « اذ قال له ربه اسلم » قال أسلمت لرب العالمين
وموسى يعلن الاسلام « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » حتى فرعون لما أدركه الموت أعلن الاسلام « حتى اذا أدركه الفرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين »
وتقول ملكة سبأ « رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله ربه العالمين » والحواريون أعلنوا الاسلام « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون » .

والنبي انصف أهل الكتاب « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

واذا كانت قواعد الاسلام خمسا (الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج) نهى في كل دين (وان اختلفت التفاصيل) .

الصيام والتقوى

يهدف الصوم الى بلوغ التقوى « لعلمكم تتقون » والتقوى جماع الخير كله ، ودخلت في كل العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق فهذه آية البر تنبه الى هذه الحقيقة (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبين » هذه هي العقائد الخمس « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والمسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة » هذه قوام العبادات « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » قوام المعاملات « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » قوام الاخلاق وفي النهاية « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

وسأل (عمر بن الخطاب) أبى بن كعب عن التقوى فقال أبى (هل مررت بواد فيه شوك) قال عمر (نعم) قال (فماذا فعلت) قال (شمرت واجتهدت) حتى لا يصيبه الشوك ، قال أبى (فذلك التقوى) لأن الانسان يخوض في شهوات ومحرمات ويجب الحذر .

أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويستحقون الجنة لهم شرطان (الايمان بالله) (ولزوم التقوى) « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله » ولزوم التقوى ينجى من الهم والغم ويوسع في الرزق « ومن يثق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » وللتقوى صور كثيرة منها .

١ — لزوم الصدق « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

٢ — ولزوم العدل ولو مع الخصوم « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله » .

٣ — وهى ضد الفجور « ونفس وماسواها ، فآلهما فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من حساها » .

٤ — ضبط اللسان عن فاحش القول والجدل الذى يؤدى الى الشقاق « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب » .

٥ — تعظيم شعائر الله وتطبيق شرائعه « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

والتقوى نتائج طيبة

١ — فهى نور الطريق للحائرين « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله ، يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم »

٢ — وهى طريق الى الفوز برضوان الله وجنته « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون » .

٣ — ولن يدخل الجنة الا تقى « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا »

٤ — ولا ينجو من النار الا تقى « وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » .

٥ — ويفتح الله بها ابواب رحمته وبركاته « ولو ان اهل القوى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون » ولقد اوصى الله عباده ان يلزموا التقوى حتى الموت فلا يدرى احد متى ينزل به « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » .

ودائما تذكر التقوى بالآخرة ، فمن انتبه نجا وفاز بالجنة ومن حاد عنها خسر وخاب « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانسأهم انفسهم أولئك هم الفاسقون ، لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » .

واذا كان من صفات المتقين (الانفاق في سبيل الله) (وضبط الأعصاب) (والعفو عن مقدرة) فان الله أضاف الى هؤلاء (المخطئين الذين عادوا سريعا لمولاهم وندموا واخلصوا التوبة فالحقهم الله بالصالحين) « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين » .

الصوم والزمن

يقول الله « أياما معدودات » ويقول « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » أى رأى الهلال ويقول « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » .

والعبادات ترتبط بالزمن لأنه الوعاء الذى يتخلق فيه الأشياء فالصلاة بوقت « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » والزكاة بوقت « وآتوا حقه يوم حصاده » والصوم بوقت والحج بوقت « الحج أشهر معلومات » والله أقسم بكل جزئيات الزمن أقسم (بالعصر) (بالليل) (بالنهار) (بالضحى) (بالشفق) ونبه الى تتابع الليل والنهار « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد أن يذكر أو اراد شكورا » ومزج تسبيحه وحمده بعناصر

الزمن لينشغل الانسان كل وقته وليظل قلبه حيا « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون » وليس عمرك بما قضيت من سنوات وانما عمرك بما ادبت من طاعات ولذا يأتى الكافرون يوم القيامة وقد ضاعت ايامهم سدى فيسئلون عن عدد السنين التى قضوها فأقصى تصورهم أنهم قضوا يوما أو بعض يوم « قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فمسئل الصادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ، أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . »

وأكبر مصيبة حلت بالامة الاسلامية انها استهانت بعنصر الزمن بينما من حولنا يهتمون بأوقاتهم وينجزون فى أقصر وقت أعظم الاعمال ، وإيماننا محسوبة علينا ، ورغم آلات ضبط الوقت بما لم يتوفر للسابقين نبدد أوقاتنا ونهدر طاقتنا ، فيقضى الواحد منا ساعات يمزح مع زملائه أو أمام مسرحية فاجرة أو يستمتع لأغاني رقيقة وكانت النتيجة أن غفلنا عن ذكر الله وضيعنا أوقات الصلاة ، وماعدت الاغلبية تهب من سباتها على نداء الفجر وقلة قليلة تشهد هذه الصلاة التى أوصى الله بها « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » ولذا حذر النبى من التهاون فيقول (لن تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه) .

والانسان أنفاس معدودة وأيام محدودة وكل يوم يمر انما يقطع من عمره ولعل هذا ماجعل الله رحمة بنا ان يسوق لنا مواسم الخير مثلا .

فى (يوم الجمعة) (يوم عرفة) (يوم العيد) (ليلة القدر) لنعوض ما فاتنا ويوم نعرف قيمة الوقت (أولا بالمحافظة على الصلوات فى أوقاتها) (ثانيا بالعمل منذ الصباح المبكر بدل الساعة العاشرة) كما نرى فى رمضان فليس رمضان شهر تكاسل ولا تبدل ولا تبديد طاقات وانما هو شهر المنجزات والفتوحات (ولذا وقعت فيه أشرف المعارك) . يوم نعرف ذلك نسود الدنيا .

التيسير والتخفيف

الله الذى خلق الانسان ويعلم ماينفعه ومايضره « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » والقاعدة الاسلامية السليمة « لايكلف الله نفسا الا وسعها » وقد جعل الله العبادات ليتلائم مع طاقات الناس وقدراتهم فاذا لم يجد الماء للوضوء او لم يتيسر استعماله امره (بالتيمم) وهو تخفيف « ذلك تخفيف من ريكم ورحمة » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » واذا لم يستطع الصلاة قائما صلى قاعدا او على جنبه ، واذا لم يستطع الصوم لسفر او مرض او مشقة ابيح له الفطر لان الله رحيم ولا يريد ان يشق على الانسان « مايريد الله ليجعل عليكم من حرج » .

وفى الزكاة لاتجب الا على من يملك (النصاب) وان يمر عليه عام هجرى وجعل القيمة (ربع العشر) مع انه مالك المال ومالك العبد .
ولذا كان النبى حريصا الا يشق الصحابة على انفسهم والله يمتدحه فيقول «لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ويقول النبى (مثلى ومثلكم كمثل رجل اوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبحن عنها فانا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تفلتون من يدي) وقال للثلاثة الذين شددوا على انفسهم (مامقالة بلغتنى عنكم ، اما والله انى لاختشاكم لله واتقاكم له ، انى لاصوم وافطر واقوم وارقد واقترب النساء وهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) .

وكان يوصى بالتيسير على الناس ، وبلغ من حرصه انه لما راي الناس يتزاحمون على صلاة التراويح خاف ان تفرض فاعتزل فى بيته يصليها وحده وكان يقول (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) وكان يترفق بالمسلمين فقد دخل اعرابى وتبول فاراد الصحابة ان يؤذوه فمنعهم حتى انتهى الرجل ثم امر بذنوب من ماء فصبه على بولته وكان يكره ان يسأل الرجل سؤالا فيه ما يشق على المسلمين ويقول (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشياء من غير نسيان رحمة بكم فلا تسالوا

عنها) امتثالا لقول الله (ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) .

وأشفق على (أبى الدرداء) لما شدد على نفسه وقال (ياأبا الدرداء إن لعينك عليك حقا وإن لجسدك عليك حقا وإن لاهلك عليك حقا) والإسلام في عباداته راعى ذلك فالصلاة والزكاة كلها في طاقة الإنسان ، واشترط للحج الاستطاعة « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

والمسلمون يجب عليهم مراعاة ذلك وخاصة من يصلون بالناس جماعة لقول النبي (من صلى بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والمريض وذو الحاجة) .

الزكاة والصدقة

واطعام المسكين

أولا الزكاة عموما

الزكاة المفروضة ليست هي (زكاة الفطر) كما يتوهم البعض وإنما هي زكاة تسع أنواع المال ، جعلها الله لسد ثغرات المجتمع وتحصينه ضد الحاجة ، وستر العورات ، وصيانة الوجوه ، وسميت (زكاة) لما يكون فيها من البركة والنماء والطهارة « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » .

والزكاة هي المذكر للفرد بحصة الجماعة من ماله الذي كسبه من حلال ، وهي الامتحان فيما تهوى النفس من حب المال ، وتخلص من قيود الشح « وآتى المال على حبه » وتعتبر (الزكاة) أشق العبادات لأن المال قد يكون أحب للإنسان من ولده ولذا تقدمت الأموال على الأولاد في الذكر « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

ولقد حُبب الله في الانفاق واعتبر ماينفقه العبد دينا عليه سبحانه مع أنه مالك العبد ومالك « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له

«أضعافا كثيرة» وكانت الارباح عالية « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة » .

ثم أوضح سبحانه أن المال مال الله « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » وأن الاغنياء مجرد صيارفة ليس لهم أن ينفقوه الا في أوجهه التي ترضيه « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ويقول في الحديث القدسي « الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى ، فإذا بخل وكلائى على عيالى أذقتهم نكالى ولا ابالى) وأوصى أن يكون الانفاق من أطيب المال لان الصدقة تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد الفقير « ياايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيه الا أن تغمضوا فيه » ولذا كان السلف الصالح يعطرون الدراهم عند الصدقة ولا يصح أن يتبعها اذى من قول او من والا كانت الكلمة الطيبة افضل «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ، والله غنى حليم ، ياايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى »

وأوصى أن تذهب الى مصارفها الاسلامية الثمانية التي أوضحها الله في قوله « انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل » .

والصدقة تمنع أخطارا كثيرة ولذا قال النبى (داوود مرضاكم بالصدقة) وقال (صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تطيل في العمر) .

وحذر الاسلام من الشح (اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة و اياكم والشح فان اهلك من كان قبلكم بعملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) من أجل ذلك حارب ابو بكر المرتدين .

ثانيا زكاة الفطر

لا يتم قبول الصيام الا بأدائها لقول النبى صلى الله عليه وسلم (صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة الفطر) ويقول النبى

عن الفقراء في يوم العيد (اغنوهم عن السؤال في هذا اليوم) لتكتمل الفرحة وهو تكفير عما وقع من الصائم خلال رمضان يقول صلى الله عليه وسلم (فرضت زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين) ذلك أن الحسنة تمحو السيئة كما يقول الله « ان الحسنات يذهبن السيئات » على من تجب : فرضت على كل مسلم ذكرا أو انثى حرا أم عبدا صغيرا كان أو كبيرا ، كل من يجد قوته وقوت عياله ليلة العيد ويومه ، حتى الفقير الذي يأخذ الزكاة ان زاد عن النصاب أخرج ليحس بلذة العطاء يقول النبي (أما غنيكم فيزيكه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى) .

قدرها : تخرج من غالب قوت البلد ويمكن أن تخرج نقدا في المدن حسب الأحوال المعيشية وترتفع بارتفاع الأسعار ولا بد من اخراجها قبل صلاة العيد لقول النبي (من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات) والله يقول « قد أفلح من تركى وذكر اسم ربه فصلى » .

الزكاة في هذا العصر

أصبحت ركنا مهدما لايهتم به أحد فالتناس يكسبون الملايين يعتقدون ان الزكاة هي زكاة الفطر هذه القروش القليلة ولكن الله جعلها في (العمارات والسيارات والسندات والتجارة والزراعة) ، ولم يترك بابا من أبواب المال الا وجعلها فيه « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » والمؤمن لابد أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب (حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن)

ولو أخرجت الزكاة بمقاديرها لما اصاب المجتمع هذا الخلل ولما تفتشت الجرائم والفواحش ، وأعجب أن يقتطع جزء من مرتب الموظف مع أنه يستحق الزكاة بينما من يكسبون الآلاف لا يؤدون للدولة شيئا ولا يعطون للسائل

والأحرار حقه ومن هنا انتشرت الأوبئة وعمت الكوارث يقول صلى الله عليه وسلم (يأمعشر المهاجرين ، خصال خمس أعوذ بالله أن تدركوهم أو ينزلن يكمل لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الإفشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله الا سلبوا عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أنتمهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم) .

النصاب وأنواعه

١ - الذهب والفضة وأوراق البنكوت والعملات الجارية (ربع العشر) وتحسب على أساس (٢٠ مثقال ذهب) حسب السعر الحالى .

وإذا بلغ النصاب وبدأ العام ثم نقص فلا يخرج حتى يكمل ولو اكتمل آخر السنة تحسب سنة هجرية جديدة .

زكاة الحلى تعفى المرأة مما تتزين به عادة وتخرج الزكاة عن بقية الحلى بعد تقييمه حسب آخر سعر .

أنواع النوافل

النوافل هي المكملة للفرائض فإذا قصر المسلم في أداء فرض قامت النوافل بالتغطية والله يقول في الحديث القدسي (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشيء أحب الى مما افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن استعاضنى لأعيذنه ولئن سألتنى لأعطينه) .

والنوافل في الصلوات ما يرتبط بالفرائض الخمسة لكل فرض نافلة
وأجمالها احدى عشرة ركعة (ركعتان قبل الصبح) (ركعتان قبل الظهر
وركعتان بعده) (ركعتان بعد المغرب) (ثلاث ركعات بعد العشاء) .

ومنها (التهجّد) (صلاة الشكر) (صلاة الاستسقاء) (صلاة الخسوف)
(صلاة التراويح) الخ .

ومن النوافل في المال الصدقة وهى غير الزكاة المفروضة والتي أشار
الله اليها بقوله «وأتى المال على حبه» «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»
والرسول يقول (الصدقة تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد الفقير) .

ومن النوافل في الصيام (صيام يومى الاثنين والخميس) (وصيام يوم
عرفة) (وصيام عاشوراء) (وصيام الثلاثة الايام المتوسطة في الشهر القمري)
(وصيام ستة من شوال) .

ومن النوافل (العمرة) فهى غير الحج ، ومن النوافل (تلاوة القرآن)
(أو الذكر) (والتسبيح) (والتفكير في خلق السموات والأرض) .

معنى رمضان وأهميته

من الرّمض قليل شدة الحرارة وقيل شدة البرد والشاعر يقول :
(كالمستجير من الرمضاء بالنار)

وقيل لارتماض الذنوب أى تكفيرها اصطفاه الله دون الشهور فأنزل
فيه القرآن وخلد اسمه ولم يذكر شهر غيره بالاسم « شهر رمضان الذى أنزل
فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وكان في بدء أمره تخييراً من شاء صام ومن شاء أفطر ، وكفر باطعام
مسكين كل يوم على عادة الاسلام في التدرج التشريعى « وعلى الذين

يطبقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وإن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » ثم فرض صيامه وجعلت هذه رخصة (للشيخ الكبير واصحاب المرض الذى لايرجى الشفاء منه ، والحامل والمرضع) .

ويقول النبى عن رمضان (ان الجنة بابا يسمى الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم فيقال أين الصائمون فيقومون لايدخل منه أحد غيرهم) .

والله افاض فيه بكثير من النعم واجلها (القرآن) الذى سما بالعقل البشرى أن يسجد لغير الله ، وأطلقه «قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض» وصوم رمضان عبادة تلتقى فى أهدافها مع أهداف القرآن فى تربية العقول والأرواح ، وتنظيم الحياة وأوقات العمل والطعام والشراب ويفرغ عليهم صبغة الانابة الى الله ويرطب السنتهم بالتسبيح والذكر .

ولرمضان بهجة يحس بها حتى الاطفال فى الشوارع يرتلون الاغاني ويحملون المصابيح وهو للخواص رحلة الهية يبدأ يومه بالصوم ويختتمه بالافطار داعيا (اللهم لك صمت وعليك توكلت وعلى رزقك افطرت) .

وفى رمضان تغل الشياطين فلا مجال لهم ليفرقوا كلمة الناس ويفسدوا على الانسان عقله ، واذا كان رمضان يوحى بهداية الانسان فان القرآن الذى نزل فيه يوصى بتنظيم حياته فيستقر سلطان الاسلام .

وقد اوصى النبى فيه من الخير (استكثرُوا فيه أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما ، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة الا اله الا الله وتستغفرونه ، أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون ربكم الجنة وتستعينون بالله من النار) .

ويقول صلى الله عليه وسلم « اعطيت امتى فى شهر رمضان خمس خصال لم يعطهن نبي قبلى ، أما واحدة اذا كان فى اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية فان خلوف أفواههم حيث يحسون أطيب عند الله من ريح المسك وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة وأما الرابعة فان الله تعالى يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا) فقال رجل (أهى ليلة التقدر يا رسول الله) قال (لا ألم تر الى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم) .

نزل القرآن

رمضان شهر القرآن فلا يعرف الا به « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » وقيل نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة بالسماء الدنيا ثم نزل منجما على ثلاث وعشرين سنة ، ويطلق «القرآن» على بعضه فقد استعملت (أنزل) فى الحسيات كقول الله «وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» ومعنى « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » أن القرآن هدى للناس جميعا اجمالا وبينات من الهدى والفرقان تفصيلا ، والهدى مصدره الايمان القائم على العقل والوجدان وعنصر التفكير .

وكان أول ما نزل من القرآن (اقرا) وهى المادة الاولى فى الدستور الالهى أن تكون القراءة باسم الرب الذى خلق كل شىء فاحسن خلقه ، وقد اقسام الله بأدوات الكتابة « ن ، والقلم وما يسطرون » « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » وامتدح الله العلم والعلماء « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ولا يصل الى ذروة الايمان الا العلماء

«شهد: لله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » وكان النبي يتلقى القرآن أول الامر فيعاجل جبريل بالقراءة ولكن الله اوصاه « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » .

ووصف الله القرآن بأجمل الصفات نزل بالحق « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وانه لفى زبر الأولين » .

صور الوحي

تقول عائشة (أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد حتى جاء الوحي) وكان ذلك في ليلة القدر « انا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر » « انا أنزلناه في ليلة مباركة ، انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم » .

وكان الوحي ينزل اما قذفا في قلب النبي كما يقول (ان روح القدس نفث في روعي — اىلقى في قلبي — ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تناولوه بمعصية الله ، فان ما عند الله لاينال الا بطاعته) والصورة الثانية ان يكلمه الله من وراء حجاب ، كما حدث لموسى « وكلم الله موسى تكليما » والثالثة ان يأتى جبريل في هيئة بشر ، وقد كان يأتى النبي في هيئة أعرابى أو أحد الصحابة ، والصور الثلاث جمعتها الآية الكريمة « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء » .

وكان الوحي يلقى في قلب النبي فيتفصد عرقا في اليوم الشديد الحر وهو أشده عليه ، ويثقل جسمه « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » وكان يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل ، وكان يأتيه مثل صلصلة الفرس ، ويتغير وجهه لأنه يخرج من الطبيعة البشرية ويلتقى بالطبيعة الملائكية ، ولم ينزل الوحي قذفا في القلب الامع القرآن (ومعنى الوحي الاعلام الخفى) .

اعجاز القرآن

معجز في أسلوبه فقد حيرت (الحروف التي تأتي في أوائل السور العلماء ومعجز في بيانه ولذا تحدى به الانس والجن معا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وهو معجزة رسول الله لانه تحدى به ، وكان معجزة ومنهجها اما المعجزات السابقة فقد انفصلت عن المنهج ، وكل المعجزات السابقة كانت مادية وقتية لم يشهدا الا القليل ، اما معجزة القرآن في انها كانت عقلية دائمة والكتب السماوية السابقة أوكل الله حفظها للبشر فحرفوها اما القرآن فقد تكمل بحفظه « انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون » .

والقرآن لايفصل في القضايا العلمية الا اذا تحققت بالفعل فاما أيدها او لم يعارضها مثل (كروية الأرض) يقول الله « يكور الليل على النهار » .
واتى بغيبيات تحققت ولم يترك بابا من ابواب العلم الا والمج اليه مع انه كتاب هداية ، وربط بين ماضى الانسان وحاضره ومستقبله واتى بتشريع لسعادة البشرية استطاع ان يعالج مشاكلها ويداوى امراضها .

وقد عرف العلماء القرآن باناه (كلام الله المتعبد بتلاوته المنزل على رسول الله المتحدى باقصر سورة منه) وما ان استمع اليه الجن حتى خضعوا .

وسمى القرآن قرآنا لأنه يتلى وكتابا لأنه مسطر وتسميته (بالمصحف) جاءت متأخرة ، وقد اجتهد الصحابة في كتابته في عهد رسول الله ، وجمع أبو بكر هذه الصحف ثم نسخه عثمان ووزعه على الأمصار في منهج عقلى وعلمى راشد .

آداب تلاوته والاستماع اليه

القرآن يختلف عن سائر الكلام فله أصول وقواعد في تلاوته بحيث يرتجف القلب ويتشعر الجسد «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » .

وتلاوته ربح عظيم « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة ، وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور » ويقول ربنا في الحديث القدسي (من شغلته القرآن وذكرى عن مسألته أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وهو جلاء للقلوب يقول النبي (ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد) قالوا (وما جلاؤها يارسول الله) قال (تلاوة القرآن) .

ويجب تدبر آياته « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » وحسن الاستماع والانصات « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .

وكان الصحابة يحسنون قراءته يقول النبي لأبى موسى الأشعري لما سمعه (لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود) ويقول عن عبد الله بن مسعود (من أراد ان يسمع القرآن غضا كما انزل فليسمعه من ابن أم عبد) والله أوصانا « ورتل القرآن ترتيلا » وقيل ان أول ما نزل من القرآن (اقرأ) وقيل ان آخر ما نزل « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » وقيل « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دنيا » .

أضواء على القرآن

سور القرآن ثلاثة أقسام (الطوال) مثل البقرة وآل عمران والنساء (المثنائى) مثل السور المتوسطة (مريم وطه والأنبياء) والمفصل (مثل قصار السور) والقرآن نزل قبل الهجرة وبعدها فما كان قبلها يسمى (مدنى) وفى السور المكية الخطاب بـ «أيها الناس» وفى السور المدنية «يا أيها الذين آمنوا» جمع الله به القلوب وقوى العزائم ووحد الأفكار ولم يستطع أعداؤه النيل منه فقد اتهموا النبى أنه جاء به من هنا ومن هناك «وقال الذين كفروا ان هذا الا انك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » ويرد الله « قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض» والقرآن عربى « قرآنا عربيا غير ذى عوج » لذا وجب اجادة اللغة العربية ، والقرآن يحدثك عن نفسه « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» ومؤيد لما سبق من الكتب «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان » ونزل فارتقت الامة العربية بعد طول ضياع « لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » .

ودائما يمزج بين الكون والعقيدة فالقرآن كتاب الله المسطور والكون كتاب الله المنظور ولا يمكن ان يتعارض كلام الله مع فعله « فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم ، انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين » وترتيب القرآن وتسمية السور من الله سبحانه وتعالى ولا دخل للنبى فيه ويبرز فى القرآن ثلاثة أمور للاقتناع (المشاهدة) (القصص) (القسم) .

ليلة القدر

انها ليلة الاتصال الروحى المطلق بين السماء والأرض ، ليلة بدء نزول

القرآن ، وسميت ليلة القدر لما فيها من التقدير وعلو المنزلة ولما يقدر الله فيها من بركات وخيرات « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل امر »
« فيها يفرق كل امر حكيم » .

ولم تتحدد ليجتهد المسلمون في الطاعة وان حصرها النبي في العشر الاواخر من رمضان وكان يعتكف فيها وكان يستعد لها ويقول (اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله) وهم الذين عناهم الله بقوله « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » .

وفي اخفائها سر ولطف ، فقد اخفى الله رضاه في الطاعات لكي يرغب الناس فيها ، واخفى الاجابة في الدعاء ليكثر من السؤال ، واخفى خصائصه في كلامه وفضائل اسمائه كيلا يقتصر الناس على بعضها ، واخفى ساعة الجمعة ليبكر الناس بالحضور الى المساجد ، واخفى الاجال ليجد الناس في السعي ، ان انوار المؤمنين المتبتلين في هذه الليلة تجذب انوار الملائكة فيتكاثرون في الأرض والرسول يقول (ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) .

وليست ليلة القدر كما يتوهم البعض ان تدعو على الحجر فيتحول لذهب انها ليست ليلة الماديات وانما ليلة (التجليات والغفران) ولذا قال النبي لعائشة (قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني) وجعلت طوال الليل لكي يجد كل انسان الفرصة للعبادة والطاعة .

صلاة التراويح

هي ترويح عن النفس بعد عناء الرسول كان يقول لبلال (ارحنا بالصلاة يا بلال) والمفروض فيها ان تكون قياما بالقرآن واستمناحا بتلاوته

وتدبر آياته ولقد صلاها النبي باديء الأمر جماعة ثمانى ركعات ، فلما وجد اقبال الناس خاف أن تفرض فيشقى ذلك عليهم ، فامتنع في بيته ، ومن هنا صلى فرادى وجماعة ولما جاء عمر وجد الناس يصلى كل منهم وحده جمعهم على قارىء واحد هو (أبى بن كعب) ورفعها الى عشرين ركعة وقال (نعمت البدعة) وعمر تلميذ رسول الله الذى يقول (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) والرسول يمتدح صلاة القيام فيقول (ان الله عز وجل فرض صيام رمضان وسننت قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) .

والتراويح احياء لليالى رمضان ومناجاة لله ورياضة بدنية وجمع لكلمة المسلمين ، ولا يتساوى قائم الليل ومن يغفل عن ذكر الله « أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر اولو الالباب » .

وصلاة التراويح تجمع على خير وعبادة فى ليالى رمضان بدل الجلوس الى المذياع والتلفزيون للاستمتاع بالآغاني والتمثيليات المدمرة وهى دليل على أن العبد قد باع نفسه لله فى ليله ونهاره .

قيام الليل

دليل على صلاحة المؤمن وخشيته ورغبته فيما عند الله ولذا وصف الله من يقومون الليل « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » يستغفرون الله ويسبحون بحمده ويتبتلون فى حضرته فيستحقون الجنة « ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ،

وبالأسحار هم يستغفرون » وقيام الليل شرف للمؤمن وعلو مكانة يقول
النبي صلى الله عليه وسلم (جاعنى جبريل فقال يا محمد عش ما شئت
فإنك ميت ، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه ، وأعمل ما شئت فإنك مجزى
به ، وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) .

ورى أن عبد الله بن عمر رأى في المنام كأن رجلين قد أخذاه الى بئر
وقالا له انها جهنم فنظر فاذا قوم يعرفهم فأخذ يصيح حتى استيقظ فأخبر
أخته (حفصة) فقصة على رسول الله فقال (نعم الرجل عبد الله لو كان
يقوم من الليل) وامتدح النبي عبادة داود فقال (خير القيام قيام أخى داود كان
يقوم من الليل ثلثة وينام نصفه ويقوم سدسه) .

وقيام الليل فيه لقاء المحبين مع ربهم فى سكون الليل والله أوصى نبيه أول
الدعوة « يا أيها المزمّل قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا) أو زد
عليه ورتل القرآن ترتيلا » وأوصى الله بها نبيه لينال المقام المحمود « ومن
الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبيعتك ربك مقاما محمودا » الشفاعة .

صلاة الفجر

دليل رسوخ الايمان أن تهجر الفراش والدفء وشهوة النفس وتأتى
الى ربك وقد أسبغت الوضوء وأخلصت النية وصدقت العزم وهى صلاة
تشهدها الملائكة ويأهى الله بالمصلين الملأ الأعلى والله ذكرها فى قوله « أقم
الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل ، وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان
مشهودا » انها صلاة تشهد انبثاق النور من الظلمة فى هداة الكون ، والانسان
ليس بعاجز وهذا لقمان الحكيم يعظ ولده (يا بنى لست بأضعف من هذا
الديك يؤذن للفجر وأنت نائم) وبعد صلاة الفجر ينطلق الانسان فى طلب
الرزق وقد شرح الله صدره ومرج كربه والنبي يقول (لو توكلتم على الله
حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغردو خالصا وتروح بطانا) فهى

اشارة الى طلب الرزق في البكور وانت بصلاة الفجر كأنها تقف بين يدي مولاك تستلهمه الرحمة والعون لتبدأ يوما جديدا صافي القلب طاهر السريرة

وعندما يقسم الله (بالفجر) انما ينبهنا الى هذه الحقيقة ، فلا يصح أبدا أن نشكو قسوة الحياة وصعوبة المسالك وننادى بمضاعفة الانتاج بينما نهدر اثمن ساعات النهار (وخاصة في الصيف) .

ان الله ايقظنا لكي نستغل الوقت من أوله ، ومن هنا كانت وصية النبي لتؤخر السحور في رمضان لكي ننعم أولا بالتهجد والاستغفار في الأسحار ولكي نحظى بصلاة الفجر (عجلوا الفطور واخروا السحور)

رؤية الهلال

لايصام رمضان الا برؤية الهلال ولاينتهي الا برؤية الهلال وذلك بنص قرآني قاطع « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » والرسول يقول (انا امة أمية لانحسب ولانكتب ، فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) وهذا أمر الهى ورغم تواجد الأجهزة الا أن ظهور الهلال هو المنطلق اذ لايدخل للانسان فيه ويراه (الأمى والمتعلم) (والدانى والقاصى) .

ولا يشترط أن يصوم المسلمون جميعا في وقت واحد فان المشارق والمغرب تختلف والله يقول « رب المشرقين ورب المغربين » فأهل كل بلد ملتزمون معا ولعل الله أراد لدورة النهار والليل أن يكون الصيام دائما فيها فهنا مفطر وهناك صائم ، والذين ينادون بالاختصاص بالتحكيم الفلكي مخطئون فالانسان مهما ارتقى فهو ناقص والكون يحدث فيه تغيرات لايعلمها الا الله .

والصوم والامطار على هذا يغطى رقعة الزمن فان الأمة الاسلامية على تباعد المكان والزمان لا يخلو فى اى وقت منها من يصلى ويصوم ويقوم بالقرآن .

ولقد سأل المسلمون الأوائل رسول الله عن سر الهلال لماذا يبدو أول الشهر صغيرا ثم يكبر حتى يصير بدرا ثم يعود الى ماكان حتى يختفى فوجههم الله الى ما ينفعهم لأن العلم لم يكن قد توصل الى (كروية الارض) « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » وثبت أن للقمر تأثيرا على حركة (المد والجزر) فى البحار وعلى (أحاسيس الناس) .

اصحاب الأعذار فى الإفطار

١ - المسافر الذى يرهقه الصيام على الا تقل مرحلة السفر عن تسعين كيلو مترا (كالمسافة بين القاهرة وطنطا) وان رأى بعض العلماء الا تتحدد المسافة .

٢ - المريض الذى يضر به المرض ولايتحدد نوع المرض لأن الله أطلق الحكم « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » ولكن اذا استطاع المسافر أو المريض الصيام فليصم لأنه سيقضى اليوم ثانية وخير له أن يصوم مع الناس من أن يصوم وحده ، وصيام أيام رمضان لايعد لها الدهر كله « وان تصوموا خيرلكم » .

٣ - الشيخ الكبير الذى يرهقه الصيام وهو الذى عناه الله بقوله « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » والاطاقة أن يعمل الشئ بجهد كقولك (اطيع حمل هذه الصخرة) أى حملها بمشقة .

٤ - المرضع التى تخاف على رضيعها والحامل التى تخاف على جنينها ومن العلماء من ادخلها مع (المريض والمسافر) فعليهما القضاء فقط

ومنهم من رأى أن الأمر يتعلق بروح أخرى فقال (القضاء والفدية) وأنا أميل
للرأى الأول .

٥ — المريض الذى لايرجى شفاؤه برأى طبيب مسلم حاذق (كالذبحة)
(ومرض القلب) (ومرضى السكر) المرتفع (وضغط الدم المرتفع) وغيرهم
ويحتاج الى علاج دائم عليه الفدية .

٦ — من يقومون بأعمال مرهقة كمن يقفون امام الافران أو يعملون
فى المناجم أو الحمالين الذين يتكسبون من هذا الطريق وعليهم «الفدية» وأن
يبقى القضاء معلقا اذا سمحت لهم الظروف بقضاء الايام التى افطروها .

التكبير والوان الذكر

من الذكر (التوبة) والله يقول « قل ياعبادى الذين اسرفوا على
انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور
الرحيم » ولقد جاء رجل الى رسول الله وقال (يارسول الله ان لى غدرات
وفجرات فهل يغفر الله لى) قال (الست تشهد الا اله الا الله) قال (بلى
وأشهد أنك رسول الله) قال (قد غفر اله لك غدراتك وفجراتك) والله
لايضيع على العبد شيئا « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس
شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

وقد أمرنا الله بذكره « فاذكرونى اذكركم واشكرولى ولا تكفرون » وفى
الحديث القدسى « ياابن آدم ان ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى
فى ملا ذكرتك فى ملا خير منهم ، وان دفوت منى شبرا دفوت منك ذراعا ،
وان دفوت منى ذراعا دفوت منك باعا ، وان اتيتنى تمشى اتيتك هرولة) .

ومن الذكر (التكبير) وهو مقترن بالمعيد « ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم » ويمكن التكبير بأية صيغة ولا خلاف وأوثقها ان تقول

(الله أكبر الله أكبر . الله أكبر ، لا اله الا الله ، الله أكبر الله أكبر والله الحمد) أما الاضافات التى نسميها فى التكبير فمن وضع المتأخرين ولا تضر ولا داعى للخلاف فيها .

والصلاة من ذكر الله « واقم الصلاة لذكرى » ومن الذكر (تلاوة القرآن) ومنه دروس العلم (اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ، قال (مجالس العلم) ومن الذكر (التفكير فى خلق السموات والارض) لقول الله « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الابواب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض » .

صلاة العيد

سنة مؤكدة وهى مظهر جماعى لعزة المسلمين والرسول اوصى أن يحتشد لها كل الناس (الرجال والنساء والاطفال) حتى الحيض يشهدن الاجتماع ويعتزلن الصلاة ، والعيد عود من الله على عباده ودعوة على موائد رحمته وقد اقترن العيد فى الاسلام بالعبادة (فعيد الفطر) يأتى بعد صيام رمضان (وعيد الاضحى) بعد اداء الحج .

والاعیاد ظاهرة اجتماعية تعرفها المجتمعات البشرية سواء كانت دينية او وطنية ، ولما دخل النبى المدينة وجدلهم يومين يلعبون فيها فقال (ان الله قد أبدلكم خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر) وتأخر صلاة (عيد الفطر) لاجراخ الزكاة (وتقدم صلاة عيد الاضحى) ليذبح الناس بعدها وتستحب فى الاماكن الفسيحة ، واراد الله أن يربطها بتكبيره والتسبيح بحمده والرسول يقول (زينوا اعيادكم بالتكبير) .

اراد الله أن يربط عباده بطاعته وجعل يوم العيد يوم شكر على نعمه وصلة رحم وتعاون ومحبة .

والمعروف ان صلاة العيد ركعتان يكبر في الاولى سبع تكبيرات غير تكبيرة الاحرام ، وفي الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام ويقول بين كل تكبيرتين (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك) .

شكر النعمة

هو الاعتراف بالجميل لصاحب الجميل ولا يتحقق الا اذا آمن المرء بمصدر النعمة ومسديها ، وجاء الشكر في القرآن مرادفا للايمان وجحود النعمة هو الكفر « فاذكروني اذكركم واشكروا ولا تكفرون » « لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » « انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا » .

شكر الرسل

وصف به نوح « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا » ووصف به ابراهيم « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرًا لانعمه » وأمر الله به موسى « ياموسى انى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » وقال لآل داود « اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » .

وابليس يقف في طريق الشكر ليحجده الناس انعم الله وقد وعد الله قديما « قال فيما اغويتنى لانتعدين لهم صراطك المستقيم ، ثم لا تينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين » ولما كفر اهل سبا بدل الله نعمتهم نقمة وسلبهم الخير وحول جناتهم الى صحراء قاحلة « لقد كان لسبا في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا

عليهم سبيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خبط واثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور .

نعم الله والشكر

تركز الشكر فى نعمتين (نعمة الطعام) (ونعمة الماء) وهما أساس الحياة فطالبنا بالتزام الحلال « ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون » وشكر نعمة المحاصيل الزراعية « وآية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون .

ونعمة الأتعام بما فيها من لحوم وجلود والبان ومنافع « اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا أنعاما فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون .

والماء نعمة « افرايتم الماء الذى تشربون ، انتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه اجاجا فلو لا تشكرون .

والليل والنهار نعمة « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون .

فالله هو الخالق والرازق وهو الأساس ولذا وجب شكره « ان اشكر لى ولوالديك الى المصير » والرسول اوصى معاذ بن جبل (يامعاذ انى لأحبك فلا تنس ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

أسرار الدعاء

معناه الابتغال الى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده وهو من المحتاج

إلى القادر فجاء في صلوات المؤمنين « اياك نعبد و اياك نستعين » .
والدعاء دأب الصالحين ولذا وصفهم ربهم « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ،
يبدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » « ذكر رحمة ربك عبده
زكريا ، اذ نادى ربه نداء خفيا » وأمرهم الله بكثره الدعاء ولا يملوا « ادعوا
ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين ، ولا تفسدوا في الارض بعد
اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

والله اقرب للانسان من حبل الوريد يستجيب الدعاء الخالص وينادى
العباد « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى
فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

والرسول اوصى بالدعاء (ليس اكرم على الله تعالى من الدعاء) (من
نظم يسأل الله يفضب عيه) والصلاة فى اجمالها دعاء (الدعاء مخ العبادة) .

ويجب اغتنام الاوقات المباركة للدعاء (خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم عرفة ، وخير الدعاء دعاء يوم عرفة) واغتنام (يوم الجمعة) فان فيه
ساعة مستجابة ، (ليلة القدر) فلقد سألت عائشة (يارسول الله اذا
وافقت ليلة القدر فبماذا ادعو) قال (قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف
عنى) (وجوف الليل وبعد كل صلاة) فلقد سئل النبى (أى الدعاء اسمع
قال (جوف الليل الآخر ودبر كل صلاة مكتوبة) وعند السجود فالانسان يكون
قريبا من الله (اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء) وبعد
الاذان فانه وقت كريم (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على ،
فان من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة
فانها منزلة فى الجنة لا تنبى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو) والله
كريم العطاء ولا يرد عبده خائبا يقول النبى (ان ربكم حى كريم يستحي من عبده
اذا رفع يديه اليه ان يردهما صغرا .

ويجب أن يتركز الدعاء في الخير « ويدعو الإنسان بالشر دعاء بالخير ، وكان الإنسان عجولا » ويستحب الاكثار من الاستغفار قبل الدعاء لطهارة الإنسان لقول النبي (من لزم الاستغفار جعل الله من همه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب) .

أن يلزم الإنسان الحلال فالله لا يستجيب من الذين يأتون الحرام ويصرون عليه فلقد قال سعد بن أبي وقاص (يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة) فقال النبي (يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفسي بيده أن الرجل ليقذف باللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وأيما عبد نبت جسمه من السحت والربا فالنار أولى به) .

والله قادر على اجابة الدعاء وكشف الكرب « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض الله مع الله » .

والله ساق لنا أدعية عظيمة في القرآن ، والنبي ما ترك شيئا ولا حركة الا ودعا وخرج عمر لاداء عمرة فقال النبي (اشركنا يا أخى في دعائك) قال عمر (انها كلمة ما احب أن تكون لى بها الدنيا وما فيها) .

وكانت للنبي دعوات مستجابة فقد قال عن سعد (اللهم اجب دعوته وسدد رميته) فكان لا يدعو الا استجاب الله ولا يرمى عدوه الا أصاب .

ودعا يوم الأحزاب (اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وسريع الحساب ، أهزم الأحزاب) فهزمهم الله ، ودعا للسقيا فنزل المطر ولما اشتد وأضر بالناس دعا (اللهم حوالينا ولا علينا) فصرفه الله عن المدينة ويقول عليه الصلاة والسلام (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي

دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة ، فهى نائلة ان شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا) .

وكان للصحابه دعوات مستجابة فهذا (عاصم بن ثابت) لما هجم عليه المشركون وأرادوا قتله وحز رأسه دعا (اللهم انى حميت دينك أول نهارى فاحم لى جسدى آخر نهارى) فأرسل الله (سرياً من النحل) فلم يستطيعوا الوصول اليه ثم أرسل ريحاً حملته الى مكان لا يمكنهم الوصول اليه فانصرفوا عنه .

واتهمت امرأة (سعيد بن زيد) انه اغتصب أرضها فدعا (اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها) فذهب بصرها ووقعت فى حفرة بأرضها فماتت .

فما أجمل أن نردد دعاء القرآن كما يقول الله وهو يعلمنا « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .

حسن المعاشرة الزوجية

أراد الله أن تقوم البيوت على السكينة والرحمة والمودة كما قال سبحانه « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » والله أوصى بحسن معاشرة الزوجة وان يتغاضى الزوج عن الأمور التى لا تضر بعقيدها ولا بأخلاقتها « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ويقول النبى (لا يفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر) وكان النبى حريصا على النساء بوصفهن ضعيفات فقال فى خطبة الوداع (استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان — أى أسيرات —

أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله) ويقول عن النساء (ما أكرمهن الا كريم ، وما أهاتهن الا لئيم) ويقول (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله) .

وكان يوصى باللفتة الجميلة ولمحات المحبة وارضاء الزوجة تقول عائشة (كان رسول الله الين الناس ضحاکا بساما ، وكان اذا دخل بيته صار في خدمة أهله يرفع الثوب ويخفف النعل ويحلب الشاة فاذا حضرت الصلاة خرج اليها) وكان النبي يشرب من الاناء بعدها اذا شربت ، ويتكىء في حجرها ويقرأ القرآن وهي حائض وكان يقول لها (يا عائشة ما يخفى على حين ترضين وحين تغضبين) قالت (كيف يارسول الله) قال (حين ترضين تقولين لأورب محمد ، وحين تغضبين تقولين لأورب ابراهيم) فتقول عائشة (والله ما أهجر الا اسمك) .

وللمراة حقوق كثيرة يجب مراعاتها وأبسطها أن تطعمها اذا اطعمت وتكسوها اذا كسوت ولا تجرح مشاعرها بقول او بفعل ، ورغم أن الاسلام اباح للزوج أن يؤدب زوجته الناشز بالضرب ان احتاج الامر الا أن النبي يقول (أما يستحي احدكم أن يضرب امراته كما يضرب العبد يضربها اول النهار ويجمعها آخره) والمراة تحتاج الى الملاطفة واللين فالشدة معها قد تضر بها والرسول يقول (ان المراة خلقت من ضلع أعوج لا تستقيم لك على طريقة فان رحمت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها) .

والاسلام أوصى الا يتعجل الرجل في الطلاق عند الخلاف وانما يقوم بسلسلة من الاصلاح مرحلة بعد مرحلة (العظة ، ثم الهجر في المضجع ، ثم الضرب) وهو ما عناه الله بقوله « واللأني تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » فاذا لم تغلح هذه الوسائل يلجأ الى (مجلس الحكيم)

ليتدخل أهل الصلاح في الإصلاح » وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » .

ولعل الاسلام كان حريصا على حسن المعاشرة الزوجية لتستقر الأوضاع في البيت وينشأ الأولاد في جو هادئ والا تسبب النزاع بين الزوجين في آلام لا تحمد عقباها والله عندما جعل (القوامه) للرجل أريادها رئاسة منزلية وليست استعلاء أو استرقاقتا « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم » .

المباشرة وأنب الجماع

ربط الله الصيام بأدب المباشرة والجماع مما يدل على صفاء القلوب وتلاقى الأرواح فالله وصف اعلاقة الزوجية « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » وهناك صنف من الرجال يحبون أن يحصلوا شهواتهم دون مراعاة لمشاعر زوجاتهم ولكن النبي كان حريصا من هذه الناحية فقال (فإذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، فإذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها) ويوصى برعاية المشاعر فلا يرتمي الإنسان على امراته مباشرة دون مقدمات وهى لم تنتهيا وإنما لا بد من تقديم يقول النبي (لا يرتمي أحدكم على امراته كما يرتمي البعير بل يبعث برسول) قالوا (يا رسول الله وما الرسول) قال (القبلة) .

وأن يراعى مشاعرها عند (الحيض) فالمحل يكون غير نظيف وأعصابها تكون غير هادئة « ويسئلونك عن الحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » فإذا ما طهرت من الحيض فهى أشد رغبة اليه مستعدة للقائه « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » .

ولا بد وأن يتزين لها ويتجمل ويتطيب ولا يأتيها وهو في هيئة منفرة
أو رائحة خبيثة فان لذلك علاقة بأحاسيسها يقول النبي (اغسلوا ثيابكم
وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون
ذلك فزنت نسأؤهم) والمرأة تحب الملاعبة والاطراء والتعليق على ملابسها
ومأكلها واشعارها بأنها اثيرة عند الرجل .

(والمباشرة مقدمة للجماع) من تقبيل أو احتضان أو لمس وغير ذلك

التوبة والاستغفار

التوبة هي دليل رحمة الله بعباده رغم عصيانهم والله أرادها ليرجع
العبد اليه ويندم على ما فعل فإلى الله غنى عن العالمين جميعا لا تنفعه طاعة
الخلق ولا تضره معاصيهم والله ينادى « أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
والله غفور رحيم » والتوبة لازمة في كل وقت والله يقول « وتوبوا الى
الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ويقول عن النبي وأصحابه
« لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم » .

والله يفرح بتوبة عبده فرحا شديدا (لله أشد فرحا بتوبة عبده
من أحدكم كان بأرض فلاة فذهبت عنه راحلته وعليها طعامه وشرابه
فاستراح تحت ظل شجرة ونام ثم وجدها عند رأسه فأخذ بخطامها وقتل
« اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

والتوبة النصوح أن تقر بالذنب وأن تندم عليه وأن تعزم عزمًا أكيدا
على ألا تعود الى فعل المعاصي أبداً وأن كان الذنب يتعلق بحق من حقوق
العباد يرد اليهم « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا » .

ولا تقبل التوبة عند الاحتضار لأنها توبة لا تثمر أى ثمار للخير ولا بعد الموت فقد فات الأوان وانما تقبل بعد ارتكاب الاثم والامل فى الحياة « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليهما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما » .

والتوبة تقرن بالاستغفار ، والاستغفار ليس مجرد كلمات وانما هو بركة من الله وخير عميم يقول الله على لسان نوح « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا » .

ويقول على لسان هود « يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » .

ان التوبة عودة الى الله الخالق ليحوى الذنوب ويبدلها حسنات والله جعل من اصناف المتقين ، من اخطأوا لكنهم ذكروا الله وتابوا وندموا واستغفروا فتاب الله عليهم وادخلهم جنته « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعامين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » .

عدم الإسراف وفضل الوسطية

الاسلام دين اعتدال وقد وصف الله هذه الأمة بأنها الأمة الوسط في عقيدتها وأخلاقها ومعاملاتها « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اراد لها الاعتدال في الأكل والشرب « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » والنبي يقول « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة أكلا فنثث لطمعاه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه) ولقمان الحكيم يقول لولده (يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة) والله أوصى بالتوسط في الصلاة « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » وفي الاتفاق « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

والنبي كان يحب التوسط في كل شيء (خير الأمور أوسطها) ويختار الأيسر تقول عائشة (ما خير رسول الله بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما) وكان يقول (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) ويقول (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، ان المنبت — الذي يرهق دابته بالضرب — لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) .

والله ذم الإسراف في كل شيء « ان الله لا يحب المرففين » ولقمان الحكيم ضمن عظته لولده « واقصد في مشيك » أى اعتدل في كل تصرفاتك فالإسراف مرض ولذا يجب ألا نتخذ من رمضان شهر إسراف وتبديد للطاقات ومبالغة في مطالب الجسد .

الاعتكاف

ذكره الله في كتابه « وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » وكان الرسول يعتكف في العشر الأواخر من رمضان تقول عائشة (كان

رسول الله إذا دخل العشر الأخير من رمضان أحيا الليل وايقظ أهله وشد المنزر .

والاعتكاف عبادة تهيب الجو لجمع الخواطر والصفاء القلبي تشبها بالملائكة وتأهلا لشهود ليلة القدر ، والاعتكاف أن تمكث في المسجد بنية العبادة وهو (اما وفاء لنذر) أو (سنة مؤكدة) في رمضان (أو مستحب) في غيره وإذا احتلم المعتكف وجب عليه الاغتسال الفوري (والحائض والنفساء) يقطعان الاعتكاف لأنه يتطلب طهارة .

سلوك المعتكف أن يكون مع الله فإذا خرج من المسجد لقضاء شأن من شؤنه فلا يعود مريضا ولا يشيع جنازة ولا يمس امراته أو يباشرها ولا اعتكاف الا بصوم ولا اعتكاف الا في مسجد جامع « ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد » ولم يكن الاعتكاف لينهى الناس عن قضاء الحوائج فلمعتكف أن يقطع اعتكافه اذا كان في ذلك تفريح هم يقول النبي (من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين) .

والاعتكاف مع الصوم تقوية للارادة ومع الصلاة تهذيب للارواح والاعتكاف يقوى روح المراقبة والاخلاص وتسليم النفس لله وملازمته في عيبته واعراض كامل عن عرض الدنيا .

النهى عن قرب المحظورات

عندما يصدر الله الاوامر تأتي بصيغ متفرقة فمع بعض الكبائر يحصى بعدم فعلها مباشرة لان الانسان لا يأتيها الا بصعوبة وجهد مثل (القتل) يقول « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله بالحق » فالقتل لايتعود عليه الانسان ولذا قال عن (قابيل) لما قتل أخاه (هابيل) « فطوعت له

نفسه قتل أخيه فمقتله فأصبح من الخاسرين » كما تطوع الحديد بوضعه في النار ثم تطرقه حتى يلين لك ، وهذا يتطلب جهدا .

أما بالنسبة (للزنا) فالله ينهى عن القرب منه « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » لأن له مقدمات اذا جاءها الانسان قادتته للزنا والله يقول « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك اذكى لهم » .

فالزنا وليد (النظرة والاستماع واللمسة والخلو) الى غير ذلك . يقول النبي (كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزناه العينين النظر ، وزنا الأذنين الاستماع وزنا اللسان النطق ، وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى ، والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) ويقول (ما اختلى رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما) .

ايضا في (مال اليتيم) يقول « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده » لأن الوصي اذا امتدت يده للقليل يغريه الشيطان بالكثير « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبقارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف . ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » .

حرمة المال ونزاهة المعاملات

حارب الاسلام الاستغلال بكل صوره واشكاله واراد أن تقوم المعاملات بين الناس على أساس من النزاهة والأمانة والرسول يقول (من غشنا فليس منا) فالتاجر الذي لا يعطى الناس حقوقهم ويأخذ أكثر من حقه هو خائن مذموم ولذا هاجم الله هؤلاء « ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم

صبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » وذنم الله اليهود « سماعون للكذب آكلون للسحت » كما حارب الاسلام الربا لأنه امتصاص لدماء الكادحين واستغلال فاحش للانسان واقتناء ثروة بدون جهد وفرق بينه وبين البيع « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » .

وأهلك الله أمة شعيب لأنها استغفلت وانحرفت وأعماها حب المال عن سلوك الطريق القويم فطففوا الكيال والميزان وأبخسوا الناس أشياءهم وأرتكبوا كثيرا من الموبقات وقطعوا الطريق وقتلوا وسلبوا ونهبوا « فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ، ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ، وأذكروا اذ كنتم قليلا فكركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين » ولقد تطاولوا على شعيب « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، انك أنت الحليم الرشيد » ويوجههم الى طريق الحق والأمانة فى المعاملة وطلب الرزق الحلال « قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب »

والله أراد للانسان أن يأمن على نفسه وماله وعرضه فلا يتعرض للقتل أو السلب أو الانتهاك والرسول فى خطبه الوداع قال (ان دماكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا) والمال قد يكون اشد غلبة على الانسان من ولده ولذا تأتى الأموال قبل الاولاد فى الذكر « انما أموالكم وأولادكم فتنة » « يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » .

وهناك صنف من الناس يستغل منصبه أو غناه لأكل أموال الناس بالباطل واغتصاب حقوق العباد يقول النبي (من اقتطع من أرض أخيه شبرا بغير حق فاتما يقتطع قطعة من النار) وإذا امن المجتمع على الأموال والأعراض والأنفس كان مجتمعا مستقرا والا ذهب ريحه .

ورمضان فرصة لتطهير القلوب وبراءة الذمم ونقاء الضمائر فيتوكل الإنسان الصدق ويحرص على الحق والا يأخذ الا ما يستحق « وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

مشارك في رمضان

معركة بدر الكبرى

أعظم معارك الاسلام على الإطلاق وقد سماها الله (يوم الفرقان) لان الله فرق فيها بين الحق والباطل « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » تجلى فيها الاخلاص لله ورسوله ، وصدق النية وخرج (المهاجرون والأنصار) لا يريدون الا احدى الحسنين (أما النصر وأما الشهادة) وأرضوا نبيهم فساق الله لهم بشائر النصر « اذ يوحى ريك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » وكانت نتائجها عظيمة فلأول مرة تغلبت القوة المؤمنة على جبابرة قريش وسمعت الجزيرة بهذه الهزيمة الثقيلة فاحسست بقوة الاسلام .

وكان النبي رحيمًا بجنده يدعو (اللهم انهم جياع فأطعمهم ، عراق فاكسهم ، حفاة فاحملهم اللهم ان هذه قريش قد جاءت بخيلا وخيلائها ترجو نبيك ، اللهم أنجز وعذك فى قريش ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض ابدا) .

واخذ بالشورى سواء في خروج الجيش أو اختيار المكان أو معاملة الأسرى وقدم أقاربه أولا للخطر فكان أول المبارزين ثلاثة منهم (حمزة عمه وعلي بن عمه وعبيدة بن الحارث بن عمه) وكان بكل جوارحه معهم انضحوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل) وتحقق وعد الله « قد كانت لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء » « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » .

غزوة الفتح

كان لا يمكن أن تخضع الجزيرة الا اذا خضعت مكة ، ولقد خاض النبي مع قريش معارك تارة كانت له وتارة كانت عليه ثم كان يوم الأحزاب عندما جاءوه في عشرة آلاف مقاتل وهو أكبر حشد ولكن الله ردهم « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » واضطرت قريش للاعتراف به وبقوته وعقدت معه (صلح الحديبية) الذي كان فتحا مبينا ونصرا مؤزرا جعله ينطلق بدعوة الله الى آفاق أوسع ولكن قريش خانت العهد وكان لابد من فتح مكة وازالة كل أثر للوثنية ، وتحرك في عشرة آلاف مسلم ودعا (اللهم خذ العيون والاعبار عن قريش حتى نبغتها في دارها) وتحقق له ذلك ودخل مكة بدون قتال قد أخضع الله له رعوس الشرك وجمعهم وفي رحمة وعفو عن مقدرة قال (يامعشر قريش ما تظنون انى فاعل بكم) فردوا عليه (أخ كريم وابن أخ كريم) قال (اقول لكم ما قال يوسف لآخوته ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعفا عنهم وسمعت القبائل فدخلت في دين الله أفواجا « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » وتحقق وعد الله أن تكون الغلبة للإسلام

وأهله » وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » « أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » .

غزوة مؤتة

كانت أول صدام مع (الروم) الذين تجمعوا في نحو مائتى مقاتل وخرج (زيد بن حارثة) يقود جيشا صغيرا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل . وأمر النبي أن يتولى القيادة بعد زيد (جعفر بن أبى طالب) وبعده (عبد الله بن رواحة) فكانت اشارة الى مقتلهم ، ولما رأى زيد هذه الحشود وأراد الحد فقتل (ابن رواحة) أنا لا نقاتل الناس بعدد ، ولا عدة ولكن نقاتلهم بهذا الدين) ومضوا في القتال كالأساد ، وكان النبي هناك في المدينة يراقب المعركة وقد كشف الله له الحجب ثم أعلن مقتل القادة الثلاثة ، وأخبر أن جعفر بن أبى طالب قد قطعت ذراعه وأبدل بهما جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء ووقع الاختيار على (خالد بن الوليد) ليتولى القيادة بعد (ابن رواحة) فرأى أن الانسحاب أفضل بدل المغامرة الانتحارية ونجح في هذا الانسحاب الشريف بعد أن كبّد الروم خسائر فادحة في الارواح .

ولم يرض المسلمون عن هذا الانسحاب وصاحوا بالجيش (أنتم الفرارون) وكأنهم أرادوا أن يقاتلوا حتى آخر رجل لكن النبي قال (ليسوا بالفرارين وإنما هم الكرارون ان شاء الله) وامتدح فعل خالد وأسماه (سيف الله المسلول) .

ومن العجيب أن المعركة أسفرت عن مقتل اثنى عشر رجلا من المسلمين منهم القادة الثلاثة وهى أعظم نتيجة لمعركة حربية ليس فيها تكافؤ وكان ذلك

بقى رمضان في شدة الحر ولكنهم جاهدوا في الله حق جهاده « والذين جاهدوا
عينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » .

غزوة تبوك

آخر غزوات المسلمين بقيادة نبيهم وكانت دليلا على أن قوة الاسلام
لم تعد ترهب سكان الجزيرة وحدهم بل ترهب اعظم دولة وهى (دولة الروم)
فقد علم النبي انهم يستعدون للهجوم عليه فتحرك سريعا ، ورغم شدة
الحر وقسوة الطبيعة وطول المسافة ووعورة الطريق فقد خرج معه (ثلاثون
الف) رغم ان الحصاد كان على الابواب ولم يتخلف الا ثلاثة هم (كعب ابن
مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع) لم يكن لهم عذر فأمر النبي باعتزالهم
ومقاطعتهم خمسين ليلة حتى نزلت آية توبيتهم « وعلى الثلاثة الذين خلفوا
حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا
ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا » .

ولما وصل النبي لتبوك لم يجد حشود الروم فقد قذف الله في قلوبهم الرعب
وعجب قيصر كيف لهؤلاء العرب أن يجازفوا في ذلك ومكث النبي عشرين
ليلة وعقد محادثات مع القبائل وسمعت الجزيرة بخروجه فخضعت له كلها
وكان النبي بصدامه مع الروم اراد أن ينبه الى أخطارهم ولذا سنرى (أبا
بكر) يصطدم معهم ثم (عمر) وينزل بهم هزائم ساحقة .

وبعد (تبوك) نزلت التحذيرات السماوية من الله الا يتخاذل المسلمون
والا يتقاعسوا عن الجهاد فان ذلك ينهى وجودهم « يا أيها الذين آمنوا ما
لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة
الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا » .

معركة القادسية

ما ان تولى ابو بكر الخلافة حتى تحركت قوى العدوان من (فارس والروم) تحاول القضاء على هذه (الدولة الوليدة) واشتبك المسلمون مع الدولتين في وقت واحد ، ونال المسلمون بعض الهزائم من الفرس لقوتهم واستعدادهم وقربهم من ديارهم .

ولما تولى (عمر) اختار لهم (الأسد واثبا) وهو (سعد بن أبى وقاص) وأوصاه (ياسعد لا يفرنك أن يقال خال رسول الله) وأمره بالحذر والحكمة واستطاع (سعد) أن يدخل معهم في معارك ضارية كانت أشدها (معركة القادسية) وكان (سعد) قد أصيب بهرض يمنعه من ركوب فرسه فأقام لنفسه عريشا يشرف منه على المعركة وانطلقت آساد الله بقوة الايمان تهزم كتائب الشرك وجند الطفغيان ، وكان في الجيش بعض كبار الصحابة الذين حمسوا المسلمين ورغبوهم في الاستشهاد واستعداد المسلمون أيام انتصر العرب على الفرس في معركة (ذى قار) في الجاهلية ونجحوا بالاخلاص والتخطيط السليم والقيادة الرشيدة والحرص على النصر أو الشهادة أن ينتزعوا من الفرس نصرا عزيزا مؤزرا وأن تفر جحافل الفرس بعد أن تركت آلاف القتلى والجرحى وتبعهم المسلمون ، ولم يمض قليل حتى دخل المسلمون (المدائن) عاصمة فارس وأزالوا دولتهم وتجمعت غنائم عظيمة بين يدي عمر فقال (ان قوما أدوا هذا الأمان) فقال على (يا امير المؤمنين لقد رأوك غفيفا فنعفوا ولو رقت لرتعوا) .

معركة عين جالوت

من معارك رمضان المجيدة التى كانت جلادا عظيما مع اعنى قوى الأرض فان (التتار) اجتاحوا أواسط آسيا واهلكوا الحرث والنسل وما مروا بمدينة الا تركوها أحجارا وأحدثوا رعبا في القرى فهرب الناس ودخلوا

(بغداد) وذبحوا ثمانين ألفا (ودمشق) فذبحوا ستين ألفا وتقدموا نحو (غزة) يريدون (القاهرة) ولكن القوة المصرية تحت قيادة (قطز) (والظاهر بيبرس) نهضت باخلاص وقام العلماء يحمسون المقاتلين وفي (عين جالوت) استطاع المصريون أن ينزلوا بالتتار هزيمة ساحقة وتبعوهم قتلا واستئصالا حتى أفنوهم عن آخرهم .

ولو قدر ودخل التتار مصر لانتهت الحضارة الانسانية فقد كانت تتمثل في (الأزهر الشريف) وبعد هذه المعركة لم تقم للتتار قائمة وبذلك كانت مصر درعا واقية لكل شعوب الأرض وخاصة (أوربا التي كانت تعيش في (ليل مظلم) من الجهالة وفي (غابة) يأكل القوى الضعيف وكان التتار يشبهون (يأجوج ومأجوج) في عدوانهم ، وتتملكهم رغبة ملحة في سفك الدماء وتشويه الانسان وقطع الرقاب ونزع جلدة الرأس ، والخراب لكل ما هو حضارى .

(مصر) دائما كانت القلعة التي رد الله بها الغزاة وكانت مقبرة لكل من سولت له نفسه أن ينتهك حرمتها ويعتدى على شعبها الأمن ، ونعمت مصر بعد هزيمة التتار بعهد ازدهار حتى دخلت (ليل الاحتلال العثماني ثم الفرنسي ثم البريطاني ثم الاسرائيلي) .

معركة العاشر من رمضان

قامت (دولة اسرائيل) في غفلة من العرب وهم يرزحون تحت نير الاستعمار (الفرنسي والبريطاني) ولأول مرة في التاريخ منذ (دولة سليمان) يقام لليهود دولة في (أرض الله المقدسة فلسطين) ومنذ قامت وهي تعتمد اذلال العرب وتعندى عليهم وتضرب بكل القرازمات الدولية عرض الحائط .

ودخلت مع العرب في معارك متعددة وكانت مصر دائما تتحمل النصيب
الأوفى من مآلها وشبابها (وفي معركة ١٩٥٦) وقفت (بورسعيد) وقفة
رائعة ولكن كانت (النكسة في ١٩٦٧) ونزلت بمصر خاصة والأمة العربية
عامة أكبر كارثة في تاريخها واستطاعت إسرائيل أن تمزق الجيش المصري
وتقتضى على كل مقوماته وأن تحتل أراضي عربية (سيناء وغزة والضفة
الغربية ومرتفعات الجولان) وظلت مصر تجتر آلامها وتنتهي ليوم الثأر وفي
رمضان في ١٩٧٣ وتحت (قيادة رشيدة) (وتخطيط محكم) (وإخلاص ونية)
وثبت الأساد المصرية لتنزل بالاسرائيليين هزيمة ساحقة وتغير وجه القتال
العسكري حين عبرت (المانع المائي مثالا في قناة السويس) والسائر
الترابي (وخط بارليف) واجلت العدو عن مواقعه ، وتلفتت الدنيا لتري
الجندى المصرى بطلا مغوارا لم يهن ولم يضعف ، واضطرت اسرائيل الى
الاستسلام والاعتراف بحقوق العرب المشروعة وقيام دولة فلسطين (كان
ذلك من تجليات رمضان) .

انتهى في غرة رمضان ١٤٠١ هـ

عبد المعز خطاب

بلقاس / دقهلية



فهرس الكتاب

الرقم	الموضوع	الصفحة	الرقم	الموضوع	الصفحة
١	حقيقة الايمان	٤	١٩	التكبير والوان الذكر	٣٤
٢	أضواء على الصوم	٥	٢٠	صلاة العيد	٣٥
٣	مراتب الصوم	٧	٢١	شكر النعمة	٣٦
٤	مبطلات الصيام	٨	٢٢	أسرار الدعاء	٢٧
٥	الصيام والكفارات	٩	٢٣	حسن المعاشرة الزوجية	٤٠
٦	الصوم عبادة قديمة	١١	٣٤	المباشرة وادب الجهاد	٤٢
٧	الصيام والتقوى	١٣	٢٥	التوبة والاستغفار	٤٣
٧	الصوم والزمن	١٥	٢٦	الاعتكاف	٤٥
٩	التيسير والتخفيف	١٧	٢٧	حرمة المال	٤٧
١٠	الزكاة والصدقة	١٨	٢٨	معارك رمضان	٤٩
١١	أنواع النوافل	٢١	٢٩	معركة بدر	٤٩
١٢	نزول القرآن	٢٤	٣٠	غزوة الفتح	٥٠
١٣	صور الوحي	٢٥	٣١	غزوة مؤتة	٥١
١٤	ليلة القدر	٢٨	٣٢	غزوة تبوك	٥٢
١٥	صلاة التراويح	٢٩	٣٣	معركة القادسية	٥٣
١٦	صلاة الفجر	٣١	٣٤	معركة عين جالوت	٥٤
١٧	رؤية الهلال	٣٢	٣٥	معركة العاشر من رمضان	٥٤
١٨	أصحاب الأعداء	٣٣			